البحوث والدراسات

الاستخدام المتبادل للفراغات السكنية

د. محمد بن عبدالعزيز الشريم*

ملخص:

يعد الاستخدام المتبادل للفراغات السكنية من الوسائل الفعالة في تقليل تكاليف البناء وتيسير امتلاك المساكن، وذلك من خلال تصميم بعض الفراغات لتستوعب أكثر من وظيفة بدلاً من تخصيص فراغ حصري لكل وظيفة؛ حيث كان هذا الأسلوب يمارس بكفاءة عالية في المباني السكنية التقليدية. يهدف البحث إلى استكشاف الإمكانات لتطبيق هذا الأسلوب في المساكن الميسرة المعاصرة دون التقليل من كفاءتها التشغيلية، وذلك بتحديد الفراغات الأكثر ملاءمة للاستخدام المتبادل، ومعرفة دور الأثاث، وأثر وجود الضيوف.

كما يهدف البحث إلى الخروج بتوصيات تصميمية لتحديد الفراغات الأكثر ملاءمة للاستخدام المتبادل، ومواصفات تلك الفراغات لتصبح مهيأة بدرجة أعلى لاحتواء نشاطات مختلفة، كانت تتطلب فراغات خاصة، وتحديد المؤثرات التي ترفع كفاءة تلك الفراغات.

وزعت ١٥٠ استبانة على سكان الشقق السكنية بسكن جامعة الملك سعود بالرياض، أعيد منها ٣٣ استبانة صالحة للتحليل. وقد تم التحليل وفقاً لأسلوب الحالة الدراسية. أظهرت النتائج أن مجلس الرجال كان الفراغ الأكثر استخداماً بشكل متبادل لنشاطات لا تتعارض مع وقت الاستخدام للنشاط الرئيس، وغالباً يمكن القيام بها مع وجود أثاث المجلس نفسه، مثل استقبال الضيوف النساء أو للأعمال المكتبية والدراسة.

أثبت البحث أن الفراغات التي يقل استخدامها من الناحية الزمنية تتيح فرصة لاستغلالها في الأوقات التي لا تكون فيها خاضعة للاستخدام الأصلي

(*) دكتوراه في العمارة والسلوك البيئي، جامعة Georgia Tech، عام ٢٠٠٠م، وأستاذ مساعد بكلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

لها، إضافة إلى أن انتقاء النشاطات المناسبة للأداء في فراغ معين يتوافق مع طبيعة استخدام الفراغ وطريقة تأثيثه.

ويختم البحث بتقديم عدد من التوصيات التي تساعد المصممين على الاستفادة من خاصية الاستخدام المتبادل في تقليل عدد الفراغات في المساكن، ولاسيما الاقتصادية أو قليلة التكلفة. إضافة إلى توصيات للاستفادة من بعض الحلول المتعلقة باستخدام الفراغ من حيث التأثيث أو القيام بالنشاطات غير المتعارضة؛ وذلك لأجل توفير المساحات، ومن ثم تقليل تكلفة المسكن.

مقدمة:

تعاني المدن السعودية الرئيسة شحاً ملموساً في الأراضي السكنية. وقد بدأ هذا الشح يزحف نحو المدن المتوسطة وصغيرة الحجم؛ مما أدى إلى ارتفاع أسعار الأراضي بشكل يهدد كثيراً من الأسر حديثة التكوين بعدم القدرة على تملك منزل في المستقبل المنظور. ومع الاتجاه الذي يدعو إلى الاستفادة من أساليب البناء الاقتصادي التي تؤدي إلى تكوين بيئة أكثر استدامة على المقياسين المحلي والوطني، تأتي هذه الدراسة لتبين أثر تطبيق أسلوب الاستخدام المتبادل في تقليل المساحات المطلوبة للوحدة السكنية، دون تقليل كفاءتها، إضافة إلى تقليل تكاليف إنشائها وصيانتها.

ومع وجود دراسات عديدة حول الاستدامة وتطبيقاتها، فإن قليلاً من تلك الدراسات تهتم بالأبعاد الفراغية ورفع كفاءة استغلالها لتسهم في تكوين بيئة أكثر استدامة من خلال تقليل استهلاك مواد البناء وما يتلو ذلك من تشغيل المبنى وصيانته. فقد ركز كثير من الباحثين على اختيار مواد البناء وكفاءتها الحرارية وتقليل استهلاك الطاقة (إبراهيم، ١٤٣١هـ)، أو باستخدام تقنيات بناء بسيطة (البلوز، ١٤٣١هـ). ولكن هناك إشارات سريعة في بعض الدراسات إلى أهمية الاقتصاد في مساحات البناء، باستخدام أسلوب البناء المتضام لتحقيق بيئة أكثر استدامة من الناحية الفراغية (الوتار، ١٤٣١هـ)، أو بتقليل مساحات المساكن (طومان، ١٤٣١هـ).

وهذا مما يتوقع أن يسهم في ترشيد استخدام الأراضي وزيادة قدرتها

الاستيعابية؛ الأمر الذي يؤدي دوراً مؤثراً في تحقيق استغلال أمثل للبيئة المبنية، يتمثل في تقليل المساحات الكلية للمدن، وأطوال الطرق، والمسافات التي يقطعها ساكنو المدينة في التنقل من مكان إلى آخر، وتكاليف إنشاء البنية التحتية وصيانتها. إضافة إلى ذلك، فإن معدل الإنفاق على الوحدة السكنية يتوقع أن ينخفض باتباع هذا الأسلوب في ظل ارتفاع تكاليف المعيشة التي تواجه معظم الأسر، ولاسيما حديثة التكوين.

ماهية الاستخدام المتبادل:

الاستخدام المتبادل للفراغ يعني إمكانية استخدام الفراغ نفسه للقيام بأكثر من نشاط، سواء كان ذلك في وقت واحد بالتزامن – إن لم يكن هناك تعارض بين تلك النشاطات – أم بالتتابع؛ بحيث يستخدم الفراغ لأداء نشاط محدد في وقت محدد، يعقبه نشاط آخر في وقت آخر.

يساهم الاستخدام المتبادل في رفع كفاءة الأداء الوظيفي للفراغات، وذلك بتقليل الحاجة إلى توفير فراغات إضافية خاصة بكل نشاط رئيس في أثناء مرحلة التصميم، أو بتحويرها بعد الاستخدام. ولكنه يتطلب نمطاً إدارياً وتصميمياً للفراغ؛ بحيث يمكن تهيئته ليكون ملائماً للقيام بأكثر من نشاط وفق أحد النمطين المذكورين أعلاه.

ويسمى هذا الأسلوب في استخدام الفراغ أحياناً بالاستخدام المتعدد، وقد تسمى الفراغات من هذا النوع بمتعددة الأغراض، في مقابل الاستخدام الحصري أو التخصيص الوظيفي للفراغ. ويراوح تطبيق مثل هذا الأسلوب في الاستفادة من الفراغات المتاحة بين مستوى التصميم العمراني (الفراغات العمرانية على مستوى الحي السكني أو المناطق الخدمية المحيطة به كالأسواق والمساجد وغيرها)، ومستوى الفراغات الداخلية في الوحدة السكنية.

كانت الإيوانات في بعض المساجد والمدارس التاريخية القديمة، مثل ما كان موجوداً في مصر والعراق، تستخدم كفراغات لتدريس العلوم الشرعية ولاسيما الفقه، حيث كان كل إيوان يمثل فصلاً دراسياً لأحد المذاهب الفقهية

الأربعة. كانت بعض المدارس – كالمدرسة المستنصرية ببغداد على سبيل المثال– تحتوي أربعة إيوانات، يقع كل منها في منتصف أحد الجدران الأربعة التي تحيط بالصحن الأوسط. وكانت بعض الإيوانات تستخدم كمنطقة تؤدى فيها الصلوات صيفاً؛ لكونها مظللة (إسماعيل، ١٤٢١ هـ).

وتقدم الأحواش في العمارة التقليدية للمدينة المنورة أنموذجاً للاستخدام المتبادل للفراغات العمرانية على مستوى الحي، فقد كانت تستخدم لأغراض متنوعة، مثل لعب الأطفال، وجلوس الرجال للحديث والتسامر مع الجيران، كما كانت لقاءات النساء مع جاراتهن تتم في جزء منعزل من الحوش، يوفر لهن قدراً كافياً من الخصوصية. إضافة إلى ذلك، فقد كانت الأحواش تستخدم لتجهيز الطعام للحفلات الجماعية مثل الزواج والأعياد، وتفرش أجزاء منها لجلوس الضيوف، وتبقى مساحة منها للعروض والرقصات الشعبية (الحصين، ١٤١٢ هـ).

يلاحظ أيضاً على مستوى التصميم العمراني الحديث – على سبيل المثال – استخدام مواقف السيارات العامة والمفتوحة لأكثر من وظيفة أحياناً، كإقامة المهرجانات والعروض والاحتفالات الموسمية أو لتوفير مكان للأسواق الشعبية المؤقتة. كما أن مواقف السيارات يمكن أن تخدم أكثر من فئة من المستخدمين لإيقاف سياراتهم فيها؛ استفادة من تفاوت الأوقات التي يرتاد فيها هؤلاء المستخدمون الأماكن القريبة منها، مثل الأسواق التجارية ومساجد الجمعة تحديداً. فمواقف السيارات التي يحتاج إليها الناس بأعداد كبيرة يمكن أن ترتفع كفاءتها بجعلها تخدم هاتين الوظيفتين استفادة من عدم وجود متسوقين وقت صلاة الجمعة، إضافة إلى قلة أعداد مرتادي المسجد الجامع في الأوقات الأخرى التي يكثر فيها المتسوقون، ولاسيما بعد العصر وحتى إغلاق الأسواق ليلاً.

ومن ذلك أيضاً استخدام مباني المدارس الحكومية في فترة العطلة الصيفية كمراكز صيفية، تمارس فيها نشاطات تدريبية وتعليمية ورياضية وهوايات متنوعة في الفراغات نفسها الموجودة في المباني المدرسية، مع حاجة

يسيرة إلى إجراء بعض التعديلات في ترتيب الأثاث ليتناسب مع طبيعة نشاطات المركز الصيفي.

أهداف البحث:

يستكشف هذا البحث الإمكانات المتاحة لاستخدام الفراغات السكنية الداخلية بشكل متبادل، لمعرفة مدى ملاءمة هذا الأسلوب في توظيف الفراغات لزيادة كفاءة الوحدات السكنية وتقليل تكلفتها الإنشائية والتشغيلية، مع مراعاة المتطلبات الوظيفية والاجتماعية والنفسية للمستخدمين من خلال طرح الأسئلة التالية:

١ – ما الفراغات داخل الوحدة السكنية التي تمكن أفراد عينة البحث من استخدامها لأكثر من وظيفة أو نشاط؟

٢ – ما الاستخدامات الرئيسة والثانوية لكل فراغ رئيس في المنزل؟

٣ – ما قطع الأثاث الثابت والمتحرك في كل فراغ رئيس في المنزل؟

٤ – ما أثر وجود الضيوف على استخدام الفراغات المخصصة لهم، وكيف يتم هذا التأثير؟

٥ – ما مدى كفاية المساحات المتوافرة للاستخدام في الفراغات الرئيسة في المسكن؟

٦ – ما مدى الحاجة أو الرغبة في إجراء تعديلات في المسكن؟

يهدف البحث إلى الخروج بتوصيات تصميمية لتحديد الفراغات الأكثر ملاءمة للاستخدام المتبادل، ومواصفات تلك الفراغات لتصبح مهيأة بدرجة أعلى لاحتواء نشاطات مختلفة، كانت تتطلب فراغات خاصة. وتشمل هذه التوصيات تحديد النقاط التالية:

١ – الفراغات في المباني السكنية – بشكل عام – الأكثر احتمالية لاحتواء استخدامات متبادلة.

٢ – النشاطات الأكثر قابلية للاحتواء مع نشاطات أخرى في فراغات ذات استخدامات تبادلية.

٣ – المواصفات الفراغية لتحقيق تلك الفراغات لمتطلبات الاستخدام المتبادل.

٤ – خصائص الأجهزة أو الأثاث (الثابت والمتحرك) المطلوب لأداء أكثر من وظيفة في الفراغ نفسه.

٥ – المعالجات والحلول للتغلب على صغر المساحة أو قلة الفراغات مقارنة بالنشاطات والوظائف التي تحتاج إليها الأسرة.

أدبيات البحث:

تتنوع أساليب الاستخدامات الإنسانية للفراغات المعمارية بحسب ظروف متعددة، منها الأبعاد الاجتماعية والنفسية والسلوكية والاقتصادية والتقنية. إضافة إلى ذلك، فتشكيل الفراغات المعمارية وعلاقاتها يتأثر بشكل كبير بالثقافة السائدة، وينعكس على طبيعة الاستخدامات والتفاعل الاجتماعي داخل هذه الفراغات (Rapoport, 1969).

ذكر إبراهام مازلو أن للإنسان أربع احتياجات أساسية تساهم في تشكيل سلوكه، وهي احتياجات الطعام والشراب، والأمن والسلامة، والحنان، وتحقيق الذات (ديسي، ١٤١٨ هـ). ولكن التراتبية الهرمية التي طرحها مازلو للاحتياجات الإنسانية تتوافق مع أهمية توافر الفراغات التي تحققها في البيئة السكنية، ومن ثم تكون لفراغات إعداد الطعام والشراب أولوية على الفراغات التي تستجيب لاحتياجات الحنان أو تحقيق الذات؛ ولذلك نجد أن معظم المساكن البسيطة تهتم بتوفير الاحتياجات الأساسية غالباً، في حين أن التطور الذي تمر به وتنتقل إلى تصميمات معقدة يجعلها تستجيب للاحتياجات الأخرى بحسب ترتيب أهميتها، عند توافر القدرة المالية مثلاً. ونتيجة لذلك فإن الفراغات في المساكن البسيطة، صغيرة المساحة، تحتوي أكثر من وظيفة في وقت واحد؛ وبذلك يقل فيها التخصيص الوظيفي لفراغاتها مقارنة بالمساكن الأكثر تعقيداً من ناحية الحجم وعدد الفراغات التي يزداد فيها التخصيص الوظيفي (الخليفة، ١٤٢٩ هـ).

والملحوظ أن المسكن السعودي الحديث يتحمل ضغطاً إضافياً على

وظائفه الرئيسة مقارنة بما كان يحدث في المنازل والبيئات التقليدية. فهناك كثير من الملاك الذين يحرصون على استيعاب عدد من النشاطات داخل المنزل نتيجة غياب الأماكن المناسبة لممارستها في الحي، مثل التنزه ولعب الأطفال. كما يعبر المسكن المعاصر عن ازدواجية فراغية في بعض الأحيان؛ حيث توجد مجالس وغرف طعام وغرف نوم عربية وغربية من جهة، ورجالية ونسائية من جهة أخرى. وقد ذكر بعض الأشخاص من فئتي الدخل المتوسط والمحدود أن بعض تلك الفراغات المزدوجة نادراً ما تستخدم، مثل المجلس والمقلط الغربيين، وكذلك السرر التي تحتل مساحة لا بأس بها في غرف النوم (النويصر، ١٤٣٠ هـ).

أجريت إحدى الدراسات[١] قبل ثلاثين عاماً في مدينة جدة ورصدت التغير في عدد الغرف في المنازل بين عامي ١٩٧١م و١٩٧٨م. وقد أظهرت الدراسة زيادة تفوق الثمانية أضعاف في نسبة المنازل التي احتوت ست غرف، وقرابة ٢٢ ضعفاً للمنازل التي احتوت سبع غرف، وأكثر من ١٧ ضعفاً للمنازل التي احتوت ثماني غرف؛ مما يشير إلى زيادة في تخصيص الفراغات وتحولها من فراغات ذات استخدامات متبادلة أو متعددة إلى فراغات ذات استخدامات حصرية، ولاسيما إذا ربطنا ذلك بالتحول التدريجي من كون المنازل التقليدية تسكنها في الغالب عائلات ممتدة إلى المنازل الحديثة التي تسكنها غالباً أسر نووية (Akbar, 1998).

وقد لجأت بعض الدول إلى تقنين مساحات الوحدات السكنية، وأحياناً إلى تقسيم الأسر المستفيدة إلى فئات بحسب مستوياتها الاقتصادية. ففي تونس – مثلاً – كان هناك قانون يحدد قطع الأراضي السكنية بمساحة ٥٠ م^{٢} للأسر ذات الدخل المنخفض، و١٢٥م^{٢} للأسر ذات الدخل المتوسط، و٢٠٠م^{٢} للأسر ذات الدخل المرتفع. وفي المغرب العربي تراوح مساحات قطع الأراضي السكنية

(١) أجـرى الدراسة "سرت إنترناشونال" بالتعاون مع مكتب "سعود كونسلت" (Al-Ghamdi, cited by Akbar, 1998).

بين ١٠٠ و٢٠٠م^{٢} اعتماداً على المستوى الاقتصادي للأسر التي سوف تتملك هذه الأراضي لتنشئ عليها وحدات سكنية خاصة بها. أما في الأردن فقد حددت مساحة ٤٥ م^{٢} للأسر متدنية الدخل، و٧٠ م^{٢} للأسر منخفضة الدخل، و٨٥م^{٢} للأسر متوسطة الدخل، وتصل إلى ١٢٠م^{٢} للأسر عالية الدخل. وهذه المساحات ترتفع في الدول الأكثر ثراء، ففي بولندا أيام الحكم الاشتراكي كانت المساحة المحددة للفرد في مسكنه لا تتجاوز ١١م^{٢}، في حين كانت تصل إلى ٧٧م^{٢} للفرد الأمريكي (درة، ١٩٨٨م).

وقد أكد بعض الدارسين الغربيين وجود هذا الأمر في البيوت الإسلامية التقليدية؛ بحيث تظهر سمات الفصل الواضح والتحديد الصريح لفراغات الرجال والنساء (Petherbridge, 1978). ولوحظ هذا الأمر أيضاً في البيوت العراقية القديمة؛ حيث لا توجد غرف مخصصة للنوم أو لتناول الطعام بالمعنى الثابت. فالطعام يقدم للضيوف في صينية موضوعة على قاعدة منخفضة على سجادة؛ مما يجعل تغيير وظيفة الغرفة أمراً سهلاً (رويتر، ٢٠٠٦م). وهذا مما يساهم في زيادة مرونة الاستخدام المتعدد ضمن القسم الواحد، مثل تناول الطعام أو نوم الأبناء الذكور في مجلس الرجال (الطياش، ١٤٢٧هـ).

كما رصد كتاب آخرون، مثل (Oliver, 1987) أنماطاً أخرى من استخدام الفراغات السكنية في عدد من ثقافات العالم تتحقق فيها خاصية الاستخدام المتبادل. وفي توصيف أدق، ذكر (Nabokov and Easton, 1989) نماذج من الفراغات التي تستخدم لوظائف متعددة في المباني التقليدية للأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر)، مثل **(Hogan, Tipi, Earth lodge)** وغيرها. ولكن التخصيص الوظيفي اعتمد على تجزئة الفراغ نفسه ليحتوي النشاطات وفقاً لرؤية كونية **(worldview)** تنطلق من معتقداتهم الدينية وموروثاتهم الثقافية، خاصة ما يتعلق بالتقسيم المرتبط بالأجزاء المخصصة للنشاطات الذكورية والأنثوية.

ويرى باحثون مثل كوريا أن نظام الفراغات في المدن الهندية يتجاوز الفراغ السكني محدود المساحة الذي اعتاد البشر العيش فيه. يتكون نظام

الفراغات من أربعة عناصر، هي: الفراغ الذي تحتاج إليه العائلة لأغراض خاصة كالنوم والطبخ، مناطق الاتصال القريبة كالفراغ الموجود أمام المنزل حيث يلتقي الجيران ويلعب الأطفال، المناطق العامة التي يلتقي فيها سكان الحي مثل بئر الماء، الأماكن العامة على مستوى المدينة كالميادين (كوريا، ١٤٢٠ هـ).

وقد يكون التقسيم الفراغي للمسكن مرتبطاً بالثقافة التي يحملها أفراد مجتمع ما، ومن ثم تزداد تخصصية الفراغات. فارتفاع مستوى التعقيد الاجتماعي أو السياسي يزيد التقسيمات الفراغية في المساكن وفقاً للوظيفة أو الجنس أو العمر، وتصبح الفراغات – نتيجة لذلك – أقل قابلية للاستخدام المتبادل (Kent, 1990; Kent, 1991).

تظهر أحياناً أنماط استخدام أي فراغ بشكل متبادل في الفراغ نفسه أو في التعديلات التي تجري عليه، سواء كانت دائمة أم مؤقتة. ويمكن من خلال رصدها بطرق مختلفة الاهتداء إلى طرق تعامل مستخدمي الفراغ معه ليحقق الأهداف التي عجز عنها، ولذلك يلجؤون إلى عدد من التغييرات لإعادة تأهيل الفراغ بما يناسب احتياجاتهم، مثل إضافة فراغات أو حذفها، أو ربط فراغات متجاورة، أو غلق الفتحات الموصلة بين فراغين لفصل أحدهما عن الآخر. (Zeisel, 1984).

المعالجات المعمارية:

تؤدي الأفنية في البيوت التقليدية دوراً مهماً في توفير فراغ مناسب لممارسة عدد من النشاطات الاجتماعية والعائلية المتنوعة بشكل عالي الكفاءة، مثل إقامة حفلات الأعراس واحتفالات الأعياد والمناسبات العائلية التي يدعى إليها بعض الضيوف. كما تستخدم أيضاً كفراغ لتوزيع الحركة بين أجزاء المنزل ومكان للعب الأطفال وجلوس أفراد الأسرة. كما تستخدم كمكان للنوم صيفاً ولتجهيز الطعام وتناوله، وأحياناً للولائم الكبيرة، كما في البيوت النجدية

(النويصر، ١٤١٩ هـ؛ الصويان، ١٤٢٠ هـ)، وفي البيوت الكويتية (Lewcock and Freeth, 1978)، وفي البيوت البغدادية (الحيدري، ٢٠٠٨م)، وفي البيوت الشعبية الإماراتية (الأسود، ١٩٩٦م).

وقد تميزت البيوت التقليدية النجدية ذات الأفنية الداخلية بأن معظم فراغاتها لم تكن تحمل اسماً محدداً يعكس وظيفة محددة، بل إن استخدامها كان يتم بحسب حاجة الساكنين، وبحسب الفصول المناخية. ولذلك فإن معظم الغرف مؤثثة بشكل بسيط، مثل الزولية (البساط الأرضي) والوسائد ومساند الظهر والمراكي؛[٢] مما جعلها مناسبة للجلوس وتبادل الأحاديث وإعداد بعض المشروبات أو الأطعمة والنوم وغيرها. (Akbar, 1982).

وفي دراسة تحليلية للبيوت التقليدية في مدينة جدة، وجد أن هناك عدة فراغات متعددة الاستخدامات، مثل الخارجة[٣] التي تستخدم للنوم والجلوس فترة الصيف، وتستخدم الأسطح كذلك للضيافة في المناسبات العائلية وللاحتفالات والنوم في ليالي فصل الصيف (خان، ١٤٠٦ هـ؛ الصويان، ١٤٢٠ هـ). وكذلك الحال بالنسبة إلى بيوت مكة المكرمة، حيث يوجد فيها أنماط من الاستخدام المتبادل؛ فتستخدم الخارجة –على سبيل المثال– لغسيل الملابس وتجفيفها، ولعب الأطفال، وتجفيف الخضراوات والحبوب أيضاً (وزيري، ٢٠٠٤م).

(٢) قطعة أثاث متحركة تقترب أبعادها من ٦٠ سم طولاً و٤٠ سم عرضاً و٤٠ سم ارتفاعاً تستخدم للاتكاء الجانبي عليها (شكل ١).

(٣) فراغ مفتوح للأعلى تحيط به جدران مبنية من طوب يسمى "الشابورة"، تترك بينها فتحات ضيقة تسمح بمرور الهواء مع توفير عزل بصري لمن هم بداخل الخارجة، ربما يكون أشبه فراغ معروف بها هو التراس (terrace)، ولكنها تكون في الأدوار العليا.

الشكل (١) – مجلس تقليدي على الطراز النجدي، وترى فيه مساند الظهر على الجدران، والمراكي في منتصف الجدار(٤)

يستخدم بهو المدخل (الدهليز) في البيوت الحجازية التقليدية لعدة وظائف، من أهمها التهيئة للدخول إلى المنزل، حيث كان الدهليز يمثل فراغاً انتقالياً بين داخل المنزل وخارجه. ولكن الدهليز كان يستخدم أيضاً كفراغ للعب الأطفال عندما يكون الجو في الخارج شديد الحرارة بعد رشه بالماء لترطيب المكان وتبريده، ولاسيما أن الدهليز في العادة يكون خالياً من أية قطع أثاث. إضافة إلى ذلك، كان الدهليز يستخدم أحياناً كمكان لنوم الخدم ليلاً أو لجلوس بعض الضيوف عندما يكون المجلس ممتلئاً بالضيوف الرجال (Akbar, 1998). وربما استخدم أيضاً كمكتب لصاحب المنزل أو لتخزين البضائع والأمتعة (الصويان، ١٤٢٠ هـ).

(٤) http://aqarcity.org.

ولوحظ استخدام الفراغات العلوية الموجودة في أسطح البيوت اليمنية التقليدية كفراغ متعدد الأغراض؛ حيث كانت تستخدم للجلوس نهاراً والنوم ليلاً، ولاسيما في المناطق الحارة. ولذلك فإن تعدد الاستعمالات للفراغ الواحد في بعض المشروعات المعمارية يعد ميزة تحقق قدراً من الكفاءة الفراغية، تتمثل في تقليل الحاجة إلى مساحات إضافية لاستيعاب تلك النشاطات (العلفي، ٢٠٠٤م).

وقد احتوت بيوت مدينة جدة، التي يمكن وصفها بأنها الجيل الأول من البيوت الحديثة (أو ما بعد التقليدية)، على غرفة تستخدمها الأسرة لنشاطاتها النهارية ولنوم الأطفال في الليل. وكانت تستخدم أيضاً لاستقبال الزائرات عندما يكون مجلس الرجال مشغولاً. ولم تكن تعرف بأنها غرفة معيشة، ولكن اسمها يحدد من خلال الاستخدام الشائع لها، مثل غرفة التلفزيون (Akbar, 1998).

ولكن أنماطاً من التغيرات الفراغية طرأت على البيت السعودي الحديث مقارنة بالمساكن التقليدية، فازداد تخصيص الفراغات وتحديدها باستخدام واحد، مما رفع تكلفة امتلاك مسكن خاص للأسر المعاصرة، ولذلك فإن جعل الفراغ مهيأ لاستخدامات متعددة يساهم في تقليل التكاليف بقدر مؤثر (باهمام وآخرون، ١٤٢٤ هـ).

إضافة إلى ما سبق، فإن "المرونة وديناميكية التصميم" هما أهم ما يميز البيت التقليدي؛ فمن خلالهما يمكن استخدام الفراغ الواحد لأكثر من غرض؛ فبعض الغرف –على سبيل المثال– يمكن أن تستخدم للنوم وللطعام والمعيشة على حد سواء. وهذا يمثل عكس ما يوجد في المساكن المعاصرة، فمع تشابه الغرف في أشكالها ومساحاتها، فإن لكل غرفة وظيفة محددة تتطلب نوعية خاصة من الأثاث. بل إن تساوي "الكفاءة المناخية" في فراغات المنزل جميعها أزال فرص الاختيار التي كانت تمارس في السابق، حيث كان أفراد الأسرة يختارون الأماكن التي يستخدمونها بحسب الوقت من اليوم لملاءمتها لاحتياجاتهم وفقاً للراحة المناخية المتاحة لهم (صالحين وعدس، ١٤٢٥ هـ).

وقد يكون من النتائج السلبية لعدم تهيئة بعض الفراغات لاستيعاب عدة

نشاطات متقاربة الحاجة إلى توفير فراغات أخرى تختلف قليلاً في طبيعة استخدامها مع أنها تستوعب الوظيفة نفسها. فالملاحق في المباني السكنية – على سبيل المثال– تقوم مقام مجلس الرجال، ولكن بطبيعة مختلفة عنها بعض الشيء، ولاسيما للاستقبال غير الرسمي أو لاستقبال الشباب بعيداً عن بقية أجزاء المنزل القريبة من الفراغات التي تكون فيها النساء وأهل المنزل (الشريم، ١٤٢٩ هـ).

وعندما تنعدم القدرة على إجراء بعض التعديلات في المساكن المخصصة لمحدودي الدخل فإن ارتياح الساكنين وقدرتهم على ممارسة نشاطاتهم الأسرية والاجتماعية بشكل اعتيادي تتناقص كثيراً (الجرداوي، ١٩٧٨م)، ولاسيما إن لم تصمم الفراغات بشكل يتيح لها احتواء أكثر من وظيفة أو نشاط، أو تنبع من الاحتياجات الثقافية والاجتماعية، مثل الديوانيات.(٥)

دور الأثاث في الاستخدام المتبادل:

كان لمرونة التأثيث دور حيوي في تسهيل عملية عدم تخصيص فراغ معين لاستعمال معين، إضافة إلى تحقيق درجة عالية من المرونة في أثناء استخدام تلك الفراغات لأغراض متعددة. ففي البيوت الحجازية التقليدية، كان تصميم قطع الأثاث متوافقاً مع احتياجات مستخدميها بدرجة عالية (Akbar, 1998).

كما أصبح الأثاث الحديث يشكل أكثر من ٥٠٪ من أثاث المسكن، مقارنة بالأثاث البسيط في المساكن التقليدية التي كانت أقل تخصصاً ومعظم غرفها متعددة الأغراض بسبب قلة قطع الأثاث ومرونة توزيعها. وهذه التغيرات في

(٥) "الديوانية بالنسبة للمواطن الكويتي أكثر من كونها غرفة لاستقبال الضيوف بين الحين والآخر، إنها مكان اللقاءات الاجتماعية ومجال الترابط بين أهل المنطقة وغيرها من الأصدقاء والمعارف الذين يجتمعون يومياً داخل الديوانية أو خارج المنزل أحياناً في مظهر عائلي تعوّده المواطن منذ زمن بعيد". (الجرداوي، ١٩٧٨م، ص ٢١١). وهي أشبه ما تكون بالملاحق الخارجية المعروفة المخصصة لاستقبال الضيوف الرجال.

طريقة التأثيث انعكست بدورها على زيادة عدد فراغات البيت. ولكن بعضها أصبح أقل استخداماً مقارنة بالمساكن التقليدية نظراً لتخصيصها لاستخدامات محددة (الطياش، ١٤٢٧ هـ).

وضمن اعتبارات المرونة كعامل أساسي في تصميم المسكن العربي، فإن الفراغ يمكن أن يهيأ ليكون متعدد الاستخدام من خلال توظيف المصمم المعماري للنشاطات التي لا تتطابق زمنياً في استخدام الفراغ، إضافة إلى استخدام قطع الأثاث الخفيف والمتحرك المناسب لعدة استخدامات (عفيفي، ١٤٢٥ هـ).

رصدت إحدى الدراسات التي أجريت على فراغات العمل (الذي يدر دخلاً مالياً) في المنازل في عدد من المدن الأمريكية. وقد وجدت أن (٦٩٪) من المجيبين (رجالاً ونساء) كانوا يستخدمون فراغات حصرية (مخصصة وظيفياً) للعمل، وأجاب (١٢٪) بأنهم يستخدمون فراغات العمل لأغراض أخرى (تمثلت غالبا في إقامة الضيوف أو التخزين)، في حين ذكر (١٩٪) أنهم يستخدمون فراغات العمل لأغراض أخرى بشكل يومي (وراوحت بين عمل فرد آخر، النوم، الترفيه العائلي، تناول الطعام، المعيشة العائلية، رعاية الأطفال من خارج العائلة). وقد لوحظ أيضاً استخدام الأثاث أو الأجهزة لتحديد فراغات العمل وعزلها عن الفراغات الأخرى ولتقليل التعارض بين استخدامات هاتين الفئتين من الفراغات (Ahrentzen, 1990).

وفي البيوت الريفية الإنجليزية الراقية **(English country houses)** ظهر الاستخدام المتبادل في ما عرف بـ **(Formal house)**[٦]؛ ففي الوقت الذي كانت بعض الغرف ذات وظائف مخصصة وكان أثاثها ثابتاً، مثل الطاولات والكراسي في غرف الطعام والأرائك في غرف الجلوس، كان الأثاث في غرف أخرى سهل

(٦) امتدت هذه المرحلة بين ١٦٣٠ حتى ١٧٢٠م.

الطي حتى يمكن إعادة ترتيبه وفقاً لوظيفة الغرفة وقت استخدامها. وفي البيوت التي عرفت بـ **(Moral house)**[٧] دمجت غرف التدخين ذات الطابع والاستخدام الرجالي مع غرف لعب البلياردو التي يهواها الرجال الإنجليز بشكل رئيس أيضاً ويمارسها أكثر النساء؛ نظراً لكون تلك الغرف تستخدم من قبل الفئة نفسها وفي ظروف متشابهة تغلب عليها تمضية الوقت في نشاطات اجتماعية بين الأصدقاء من الجنس نفسه (Girouard, 1978).

وحتى يمكن للأثاث أن يساهم بشكل فاعل في الاستفادة من خاصية الاستخدام المتبادل للفراغات السكنية، فإنه لابد أن تتوافر فيه عدة خصائص، من أهمها:

- سهولة النقل والتحريك للاستخدام في مكان آخر أو للتخزين: مثل الطبليات والمساند والمراكي.
- سهولة إعادة الترتيب: مثل الكراويت[٨] وهي مقاعد طويلة يمكن استخدامها للنوم في الرواشين أو للجلوس في المجالس بوضعها على الأطراف لترك منتصف الغرفة فارغاً.
- قلة العدد: مثل المساند التي كانت تتوافر بأعداد قليلة، وتفي بالحاجة اليومية للاستخدام المعتاد، ولكن يمكن إحضار المزيد منها عند الحاجة من فراغ آخر.

منهجية إعداد البحث:

يعتمد منهج البحث المقترح على عدد من الخطوات التي تجيب عن أسئلة البحث. وتنقسم إلى جزأين رئيسين؛ **الأول** نظري تجري فيه مراجعة الأدبيات

(٧) امتدت هذه المرحلة بين ١٨٣٠ حتى ١٩٠٠م.

(٨) جمع كراويتة، وهي سرير خشبي قصير القوائم، يوضع عليه أحياناً طراحات ومخدات لجعل الجلوس عليها مريحاً، وأحياناً تستخدم للنوم بعد فرشها، خاصة في الأسطح والخارجات (الصويان، ١٤٢٠هـ).

والدراسات السابقة لشرح مفهوم الاستخدام المتبادل، وتبيين مزايا هذا الأسلوب وعيوبه، من خلال مراجعة النماذج والتجارب التي تظهر أثر تطبيق هذا الأسلوب في رفع كفاءة الفراغ السكني. إضافة إلى مراجعة الأنماط التقليدية للبيئة السكنية وكيفية استفادتها من الفراغات المهيأة للاستخدام المتبادل، أو تطويع الفراغات للاستخدام المتبادل عبر وسائل معمارية أو سلوكية. **والثاني** تطبيقي تجري فيه عملية جمع المعلومات وتحليلها والخروج بالنتائج والتوصيات.

تعتمد خطة البحث على الخطوات التالية:

- استعراض نماذج للاستخدام المتبادل في الفراغات السكنية من خلال مراجعة الأدبيات.
- استطلاع آراء عينة مختارة من ساكني الوحدات السكنية المعاصرة صغيرة ومتوسطة الحجم، لمعرفة اتجاهاتهم نحو الاستخدام المتبادل ومدى استفادتهم منه في مساكنهم الحالية.
- تحليل الاستخدامات المتكررة للفراغات الموجودة في نماذج من الوحدات السكنية النمطية (**Domestic units Typical**)، وذلك لإجراء تصنيف يساعد المصممين على تفهم الاحتياجات الوظيفية واستيفاء متطلباتها فراغياً وفق اعتبارات التشابه في النشاطات، والمتطلبات المساندة لأداء الوظيفة من أثاث وأجهزة.
- استعراض النتائج ومناقشتها من خلال المقارنة بين الفراغات ذات الاستعمال المتبادل والاستعمال المتخصص وظيفياً.
- الخروج بالتوصيات المناسبة للتطبيق في مشروعات الإسكان التنموي أو لمحدودي الدخل أو المساكن قليلة التكلفة عموماً.

وقد وقع الاختيار على مباني الشقق التي تشغلها عائلات بسكن أعضاء هيئة التدريس والموظفين بجامعة الملك سعود لعدة اعتبارات، من أهمها ما يلي:

- ضيق مساحة الشقق وقلة الفراغات المتاحة لكل أسرة؛ مما يجعل هناك حاجة إلى قدر من الاستخدام المتبادل.
- تعدد الاحتياجات الوظيفية التي تتعلق بساكنيها؛ نظراً لكونهم – في الغالب – أعضاء هيئة تدريس جامعيين أو يعملون في الجامعة.
- تنوع الاحتياجات وتباينها بين الأسر؛ مما يجعل هناك فرصة للتعامل مع مشكلات مختلفة تضطر الساكنين إلى التعامل معها بطرق مختلفة.
- التنوع الجغرافي والثقافي للساكنين؛ مما يتيح الفرصة لاستكشاف أساليب مبتكرة للتعامل مع قلة المساحات ومحدودية الفراغات وتعدد النشاطات التي يحتاجون إليها.
- سهولة الوصول إلى عدد معقول من السكان وتفهمهم لطبيعة مثل هذه الأبحاث؛ مما يتوقع أن ينعكس إيجاباً على تفاعلهم بشكل جيد.

تتكون الشقق في هذه المباني من ثلاث فئات: غرفة نوم، غرفتي نوم، ثلاث غرف نوم (شكل ٢). إضافة إلى تلك الغرف، هناك ما يوصف بأنه غرفة جلوس للضيوف، وغرفة للطعام متصلة بها، ويفصل بينهما باب سحاب. ويوجد كذلك مطبخ وغرفة عائلة، إضافة إلى دورتي مياه؛ الأولى للضيوف مقابلة لغرفة جلوسهم، والأخرى للعائلة في نهاية الممر بجانب غرف النوم. وما يميز غرفة العائلة عن غيرها أنها لا تحتوي "دولاب" ملابس مثبت **(Built-in closet)** في الجدار مثل بقية غرف النوم.

وقد تجنب الباحث الشقق الصغيرة (ذات غرفة النوم الواحدة)؛ لأن سكانها في الغالب يكونون حديثي الزواج، أو متعاقدين يسكنان دون أطفالهما. وبذلك شمل البحث الشقق ذات الغرفتين أو الثلاث، بحسب التصنيف الذي تتبعه إدارة الإسكان. كما تجنب الباحث الشقق التي يسكنها رب أسرة بمفرده؛ حيث إن الاعتبارات المبحوثة قد لا تنطبق بشكل كاف عليها.

يساعد تطبيق وسائل جمع معلومات مسحية من الميدان في تأكيد وصول آراء متنوعة للمستخدمين تساعد في الإجابة عن تساؤلات البحث. ولكن من

الضروري أن تصمم البحوث المسحية **(Survey research)** لتستوفي عدداً من الشروط للخروج بمعلومات مناسبة لأهداف البحث، وهي:

- أن تجمع المعلومات بشكل منظم من مجتمع البحث عبر وسائل جمع معلومات قياسية.
- أن تكون المعلومات عن مجتمع البحث وعن البيئة التي يشغلونها.
- أن تجمع المعلومات من أفراد مجتمع البحث جميعهم، أو من عينة ممثلة لهم.
- أن تجمع معظم المعلومات من خلال مقابلات مباشرة، أو اتصالات هاتفية، أو عبر استبانات يملؤها المجيبون (Marans, 1987).

كانت منهجية التوزيع (اختيار عينة البحث) تعتمد على محاولة الوصول إلى أكبر عدد ممكن من المجيبين، مع محاولة إشراك مجيب واحد – على الأقل – من كل مبنى، ولكن صعوبة قبول بعض الأشخاص المشاركة، أو إبداء موافقتهم المبدئية ولكن دون إعادة الاستبانة قادت إلى التفكير في طريقة تحقق مشاركة أعلى وبدقة أكبر.

ولذلك اتبع الباحث أسلوباً يتكون من مرحلتين؛ **الأولى**: البدء بالتوزيع وفقاً لعينة المصادفة، بحيث توزع الاستبانات على الأشخاص الذين يعرفهم الباحث – كونه من سكان المجمع – أو مساعدوه، أو الذين يلتقيهم – في المسجد مثلاً– ويمكن عرض الفكرة عليهم. ومن ثم الانتقال إلى المرحلة **الثانية**: وهي ما تعرف بالعينة العنقودية (وأحياناً تسمى كرة الجليد **Snowball sample**)، وذلك من خلال طلب مساعدة المشاركين الذين وافقوا على المشاركة بأن يتعاونوا في إيصال الاستبانات إلى من يعرفون من أصدقائهم أو جيرانهم المقيمين في المجمع نفسه (العساف، ١٤٢٤ هـ).

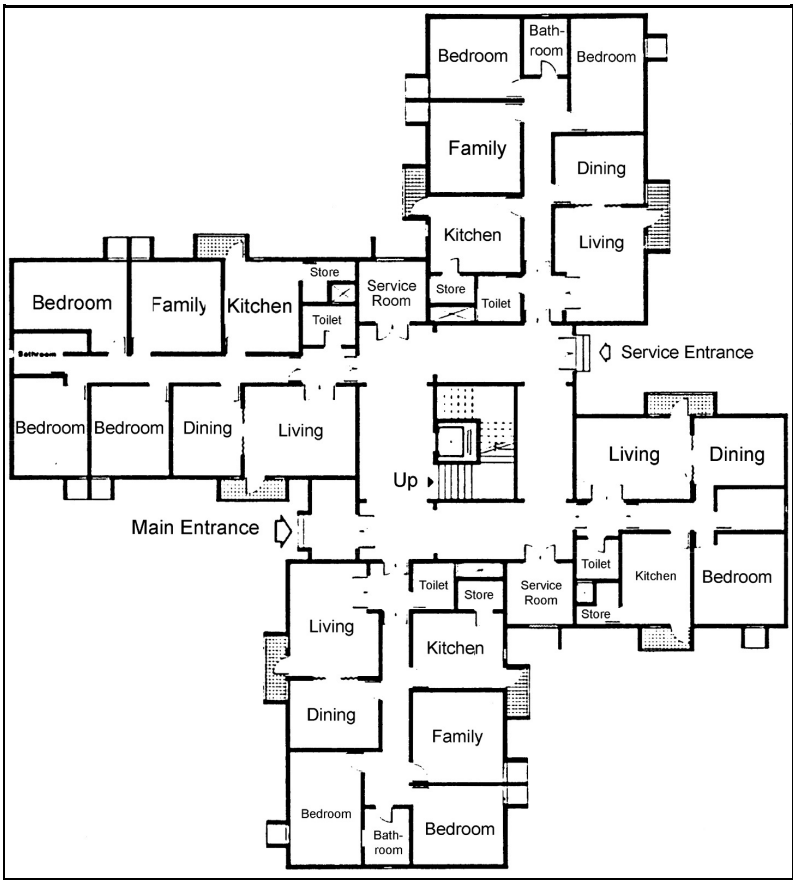

الشكل (٢) – مسقط الدور المتكرر في مباني الشقق المدروسة (Idris, 1421)

قام الباحث ومساعدوه بتوزيع قرابة مائة وخمسين استبانة على السكان في مباني شقق أعضاء هيئة التدريس والموظفين بجامعة الملك سعود. بلغ عدد الاستبانات المعادة (٣٦)، استبعدت منها ثلاث استبانات لعدم مناسبتها. وبذلك أصبح عدد الاستبانات الصالحة للتحليل لأغراض الدراسة (٣٣) استبانة. كانت (٢٢) من الاستبانات المعادة لسكان شقق ذات ثلاث غرف نوم، في حين كانت (١١) استبانة لسكان شقق ذات غرفتي نوم.

تحليل المعلومات:

نظراً لكون البحث يركز على المعلومات النوعية، فإن أسلوب دراسة الحالة يعد من أفضل الأساليب المناسبة لمثل هذه الدراسات البحثية؛ حيث يركز الباحث على معلومات يمكن من خلال تحليلها كيفياً التوصل إلى إجابة عن تساؤلات البحث (Yin, 1994).

ظهر من تحليل الاستبانات وجود أنماط متكررة من الاستخدامات الفراغية في كل شقة، تتعلق بشكل رئيس بالمواقع التي حددها ساكنو تلك الشقق لتلك الاستخدامات. كما ذكروا الاستخدامات الأخرى أو الثانوية التي تجري في كل فراغ من تلك الفراغات الرئيسة في الشقة؛ مما يشير إلى طبيعة الاستخدام المتبادل الذي يجري في تلك الشقق وفق التحليلات التالية:

ذكر معظم المجيبين أن استقبال الضيوف الرجال بمفردهم يتم في مجلس الرجال، باستثناء مجيب واحد ذكر أنه يستقبل ضيوفه في مطعم أو مقهى خارج المنزل. أما عندما يكون الضيوف نساء فقط فكان استقبالهن يتم في مجلس الرجال في (٢١) حالة، وفي مجلس النساء في (٦) حالات، وفي غرفة المعيشة في (٦) حالات. أما عندما يكون الضيوف من الرجال والنساء في الوقت نفسه، فإن الاستقبال يتم وفق الجدول (١).

الجدول (١)
مكان استقبال الضيوف الرجال والنساء

	الرجال	النساء	العدد
١	مجلس الرجال	المعيشة	١٧
٢	مجلس الرجال	مجلس النساء	١٠
٣	مجلس الرجال	غرفة نوم	٢
٤	مجلس الرجال	غرفة الطعام	٢
٥	استراحة خارج المنزل		٢

وبالنسبة إلى تناول الطعام للضيوف الرجال بمفردهم فقد أجاب أكثر من ثلثي المجيبين (٢٢ حالة) بأنهم يستخدمون غرفة الطعام، في حين يستخدم قرابة الثلث (١٠ حالات) مجلس الرجال نفسه، وفي حالة واحدة يتناول الطعام خارج المنزل. أما الضيوف النساء بمفردهن فيستخدمن غرفة الطعام في (١٧) حالة، ومجلس الرجال في (٨) حالات، ومجلس النساء في (٥) حالات، وغرفة المعيشة في (٣) حالات. أما عندما يكون الضيوف من الرجال والنساء في الوقت نفسه، فإن تناول الطعام يتم وفق الجدول (٢).

الجدول (٢)

مكان تناول الطعام للضيوف الرجال والنساء

	الرجال	النساء	العدد
١	غرفة الطعام	غرفة المعيشة	٨
٢	غرفة الطعام	غرفة الطعام (بالتناوب)	٦
٣	مجلس الرجال	غرفة المعيشة	٦
٤	غرفة الطعام	مجلس النساء	٥
٥	مجلس الرجال	مجلس النساء	٢
٦	مجلس الرجال	المطبخ	٢
٧	مجلس الرجال	غرفة الطعام	٢
٨	استراحة خارج المنزل		٢

ذكر المجيبون أنهم يستخدمون الفراغات داخل شققهم استخدامات متعددة إضافة إلى الاستخدام الأصلي، وقد ذكروا في إجاباتهم أن لمجلس الرجال (٨) استخدامات متبادلة وفق ما يظهر في الجدول (٣).

الجدول (٣)

الاستخدامات المتبادلة لمجلس الرجال غير استقبال الضيوف الرجال

	الاستخدام	العدد
١	الأعمال المكتبية أو الدراسة	٣٣
٢	استقبال الضيوف النساء	٢٩
٣	تناول الطعام للضيوف	٢٢
٤	مشاهدة التلفاز	٤
٥	تجفيف الغسيل	٢
٦	لعب الأطفال	١
٧	كي الملابس	١
٨	نوم الأقارب	١
المجموع		٩٣

أما لمجلس النساء، فقد ذكرت (٧) استخدامات متبادلة كما يوضح الجدول (٤).

الجدول (٤)

الاستخدامات المتبادلة لمجلس النساء غير استقبال الضيوف النساء

	الاستخدام	العدد
١	نوم ضيوف أو أقارب	١٥
٢	تناول الطعام للضيوف	١٢
٣	الأعمال المكتبية أو الدراسة	١٢
٤	جلسة عائلية	١١
٥	مشاهدة التلفاز	٣
٦	كي الملابس	١
٧	نوم البنات	١
المجموع		٥٥

أما لغرفة الطعام، فقد ذكرت (٨) استخدامات متبادلة كما يظهر في الجدول (٥).

الجدول (٥)
الاستخدامات المتبادلة لغرفة الطعام غير تناول الطعام

	الاستخدام	العدد
١	الأعمال المكتبية أو الدراسة	٢٢
٢	جلسة عائلية	٨
٣	نوم ضيوف أو أقارب	٨
٤	نوم الخادمة	٥
٥	جلسة عربية للضيوف	٤
٦	لعب الأطفال	٢
٧	كي الملابس	٢
٨	مشاهدة التلفاز	١
المجموع		٥٢

وبالنسبة لغرفة المعيشة، فقد ذكر المجيبون (٦) استخدامات متبادلة لها كما يبين الجدول (٦).

الجدول (٦)
الاستخدامات المتبادلة لغرفة المعيشة غير جلوس العائلة

	الاستخدام	العدد
١	استقبال الضيوف النساء	٢٠
٢	لعب الأطفال	٢٠
٣	الأعمال المكتبية أو الدراسة	١٨
٤	تناول الطعام للضيوف	١٥
٥	نوم خادمة	١
٦	مشاهدة التلفاز	١
المجموع		٧٥

أما المطبخ، فقد ذكر المجيبون (٤) استخدامات متبادلة له بحسب ما يظهر في الجدول (٧).

الجدول (٧)
الاستخدامات المتبادلة للمطبخ غير إعداد الطعام وتجهيزه وتخزينه

	الاستخدام	العدد
١	تناول طعام أفراد العائلة	٢٢
٢	غرفة للخادمة	٣
٣	غسل الملابس	١
٤	لعب الصغار	١
المجموع		٢٧

وبالنسبة لغرفة النوم الرئيسة فقد ذكر المجيبون (٥) استخدامات متبادلة لها كما يوضح الجدول (٨).

الجدول (٨)
الاستخدامات المتبادلة لغرفة النوم الرئيسة إضافة إلى نوم الوالدين

	الاستخدام	العدد
١	نوم الأطفال خاصة الرضع	١٨
٢	الأعمال المكتبية أو الدراسة	١١
٣	تخزين	٢
٤	ممارسة الرياضة بجهاز السير الآلي	١
٥	تناول الشاي والقهوة	١
المجموع		٣٣

وعند سؤال المجيبين عن رغبتهم فيما لو أتيح لهم المجال لإضافة غرفة، فماذا سيكون استخدامها؟ جاءت الإجابات على النحو التالي:

الجدول (٩)
الاستخدامات المتوقعة فيما لو أضيفت غرفة إلى الشقة الحالية

	الاستخدام	العدد
١	مكتب	١٢
٢	غرفة نوم	٨
٣	معيشة	٥
٤	مجلس نساء	٣
٥	غرفة طعام	٢
٦	غرفة خادمة	١
المجموع		٣١

النتائج والمناقشة:

كان مجلس الرجال – إضافة إلى المطبخ وغرفة النوم الرئيسة – هو الفراغ الأكثر احتفاظاً بمسماه الوظيفي واستخدامه الأساسي لهذه الوظيفة بين بقية الفراغات، مع أنه حول إلى استخدام يومي في (٤) حالات كغرفة معيشة.

إضافة إلى ذلك، فقد كان يستخدم للأعمال المكتبية لرب الأسرة أو الدراسة في (٣٣) حالة، ولاستقبال الضيوف النساء في (٢٩) حالة (في ٢١ حالة كفراغ مخصص لهذا النشاط، وفي ٨ حالات بشكل متقطع)، ولتناول طعام الضيوف في (٢٢) حالة. واستخدام فراغ مجلس الرجال كمكان لأداء الأعمال المكتبية أو الدراسة جعل من المناسب استخدامه بشكل تبادلي لخدمة الضيوف إضافة إلى بعض الأعمال المكتبية التي تتطلب هدوءاً وبعداً عن بقية أجزاء المنزل، إضافة إلى كونها لا تتعارض كثيراً مع الوظيفة الأصلية، فقد لا يحتاج الأمر إلا إضافة طاولة مكتب صغيرة. يضاف إلى ذلك أن تحويل وظيفة استقبال الضيوف الرجال إلى استقبال الضيوف النساء لا تتطلب أية تغييرات في الفراغ نفسه، بل تقتصر على التحكم السلوكي في متطلبات ضيافة النساء بعيداً عن الرجال من أهل البيت.

أما مجلس النساء فقد كان استخدامه المتبادل الأكثر تكراراً هو نوم الضيوف والأقارب (١٥ حالة). وربما ارتبط هذا الأمر بتخصيص غرفة لاستقبال النساء عند الأسر التي تتوقع استقبال أقارب أو ضيوف للمبيت عدداً من الأيام في السنة، مقارنة بآخرين (٩ حالات) لم يخصصوا غرفة لاستقبال النساء أصلاً. كما استخدم مجلس النساء لتناول الطعام للضيوف (١٢ حالة) والقيام بالأعمال المكتبية أو الدراسة (١٢ حالة). وهذان النشاطان يمكن القيام بهما في غرفة استقبال الضيوف النساء لكونهما لا يحتاجان إلى كثير من التغيير أو التهيئة في أثاث الفراغ الأصلي وتوزيعه لاستيعابهما.

وبالنسبة إلى غرفة الطعام، فقد استخدمت في (٢٢) حالة لأداء الأعمال المكتبية أو الدراسة، يلي ذلك استخدامها في (٨) حالات كجلسة عائلية، بالتساوي مع نوم الضيوف والأقارب. والملحوظ هنا أن الاستخدامات المتبادلة لغرفة الطعام تتميز بقلة احتياجها لأثاث خاص، بل يمكن الاستفادة من الأثاث الموجود كالطاولة والكراسي في حالة الأعمال المكتبية والدراسة، أو بإضافة أثاث يسير مثل فرش الجلوس الأرضي للمعيشة أو فرشات النوم للضيوف والأقارب.

كان فراغ المعيشة يستخدم أحياناً لاستقبال الضيوف النساء بمفردهن، ولكنه يستخدم غالباً لاستقبالهن عندما يكون هناك ضيوف رجال (٢٠ حالة). إضافة إلى ذلك، فإنه كان يستخدم لتناول طعام النساء في (١٢) حالة عندما يكون الضيوف من الرجال والنساء، وفي (٣) حالات عندما تكون النساء بمفردهن. إضافة إلى ذلك، فإنه يستخدم لاستقبال النساء بشكل متقطع في (١٨) حالة، وتناول طعام الضيوف في (١٥) حالة، والأعمال المكتبية والدراسة في (١٨) حالة.

أما المطبخ فقد كان يستخدم لتناول طعام أفراد العائلة في (٢٢) حالة، وغرفة للخادمة في (٣) حالات، في حين استخدمت غرفة النوم الرئيسة لنوم

الأطفال (خاصة الرضع) في (١٨) حالة، وللدراسة والأعمال المكتبية في (١١) حالة.

يظهر أن مجلس الرجال كان الفراغ الأكثر استخداماً بشكل متبادل، بتكرار بلغ (٩٣ استخداماً) خلاف وظيفته الأصلية، حيث استخدم لاستقبال الضيوف النساء في قرابة ثلث الحالات، ولتناول طعام الضيوف في ربع الحالات تقريباً، يليها – بدرجة أقل – أداء الأعمال المكتبية لرب الأسرة. ومع أنه الفراغ الأكثر رسمية في المسكن، فإنه استخدم بدرجة عالية لاستخدامات متبادلة.

وهنا يتضح أمران؛ **أولهما:** أن الفراغات التي يقل استخدامها من الناحية الزمنية تتيح فرصة لاستغلالها، في الأوقات التي لا تكون فيها خاضعة للاستخدام الأصلي لها. **وثانيهما:** أن انتقاء النشاطات المناسبة للأداء في فراغ معين يتوافق مع طبيعة استخدام الفراغ وطريقة تأثيثه. فمثلاً نجد إحدى الأسر تستخدم مجلس الرجال لتجفيف الملابس بعد غسلها، وفي حالة أخرى يستخدم المجلس لكي الملابس. وهذه الاستخدامات – مع غرابتها – تمارس؛ لأنها لا تتعارض مع الوظيفة الأصلية، إضافة إلى أنها تمارس في أوقات لا يكون فيها الفراغ قيد الاستعمال.

الخاتمة والتوصيات:

تبين من البحث أن التخصيص الوظيفي في الفراغات السكنية ظاهرة حديثة نسبياً، برزت بشكل ملحوظ في المجتمعات المعاصرة عموماً، خاصة في مساكن عامة الناس. ويستثنى من ذلك المباني كبيرة الحجم، أو تلك التي امتازت بالفخامة – كالقصور – وكانت تعكس منزلة شخصية متميزة لملاكها. ولذلك يلاحظ أن الناس كانوا يميلون إلى التخصيص الوظيفي أكثر في البيئات الأكثر ثراء قبل مرحلة الرخاء الاقتصادي التي عاشتها بعض مجتمعاتنا المعاصرة، خاصة في الخليج.

يرتبط التخصيص الوظيفي للفراغات السكنية باستخدام الأثاث أو الأجهزة بشكل رئيس، وهذا ما يجعل الاستخدام المتبادل لتلك الفراغات أكثر صعوبة في

المساكن المعاصرة مقارنة بالمساكن التقليدية التي كانت محدودة الأثاث ومعدومة الأجهزة، مما ساهم في تسهيل عملية الاستخدام الوظيفي.

الفراغات التي تحتوي قطع أثاث مرنة (كالطاولات والكراسي خفيفة الوزن وسهلة التحريك في غرف الطعام)، والفراغات التي تحتوي أثاثاً محدوداً (مثل الجلسات الأرضية) أو الفراغات التي تحتوي أثاثاً يمكن استخدامه لأكثر من وظيفة دون تغيير (مثل الكنبات والطاولات) تعد الفراغات الأكثر قابلية للاستخدام المتبادل؛ وذلك لأنها لا تتطلب تغييرات مسبقة لتستوعب نشاطات أخرى، ربما كانت تتم في فراغات مخصصة لها.

أسهمت سهولة التحرك والتنقل ببعض الأجهزة الحديثة (مثل الهاتف الجوال والحاسب المحمول) في إعطاء فرصة أكبر للتعامل مع بعض الفراغات بمرونة أكبر استفادة من خفة الوزن وتوافر تقنيات التشغيل والاستخدام لاسلكياً، مثل الإنترنت عن طريق خدمة (DSL)، أو عن طريق شريحة البيانات المتنقلة. إلا أن التقييد الذي تفرضه بعض الأجهزة الحديثة الأخرى (مثل التلفاز المرتبط بتوصيلة لاقط القنوات الفضائية)، التي غالباً ما تكون في أماكن محددة فقط، يقيد التحرك والتنقل.

اللجوء إلى أسلوب الاستخدام المتبادل للفراغات السكنية يكون مناسباً عندما يتحقق فيها عدة أمور، أولها: قلة المساحة المبنية المتوافرة للسكن، وثانيها: سهولة تحويل الوظيفة إلى وظيفة أخرى لقلة عدد قطع الأثاث أو لسهولة نقلها وإعادة ترتيبها، وثالثها: تشابه الاستخدامات إلى حد كبير وعدم وجود تعارض في أوقات استخدامها، مما يتطلب توفير فراغات حصرية.

تسهم الاعتبارات الاجتماعية (كالفصل بين الرجال والنساء) أحياناً في فرض تكرار بعض الفراغات أكثر من الاعتبارات الوظيفية، ولاسيما عندما تكون الحاجة متكررة لاستقبال رجال ونساء في الوقت نفسه. ولذلك نرى إمكانية استخدام الفراغ الواحد للجنسين في أوقات مختلفة دون أن تكون هناك حاجة

ضرورية لتوفير فراغين متشابهين للرجال والنساء لنشاط واحد، مثل استقبال الضيوف أو تناول الطعام.

ولذلك، فإن اتباع استراتيجية إدارة الوقت الذي تستخدم فيه الفراغات ذات الوظيفة المتشابهة من قبل فئات مختلفة – يمكن أن يفيد من خاصية الاستخدام المتبادل، وبتعبير آخر إعادة جدولة النشاطات لتقليل التعارضات بينها.

وباستثناء بعض التجمعات السكانية التي تتطلب مراعاة خاصة لاعتبارات الضيافة، فإن توفير فراغ استقبال واحد في الوحدة السكنية يمكن أن يكون كافياً ومناسباً لظروف معظم الأسر المعاصرة، ولاسيما في مشروعات الإسكان قليلة التكلفة. فقد ظهر أن استضافة الضيوف النساء عندما يكن بمفردهن تتم في حالات كثيرة في مجلس الرجال، كما يمكن استضافتهن في فراغ المعيشة عندما يوجد رجال، خاصة أن التعارض الزمني محدود ويمكن تحقيق مكاسب فراغية من خلال إدارة عملية الضيافة بالشكل المذكور.

وللتغلب على مشكلات استيعاب أعداد كبيرة من الضيوف، يمكن وضع استراحة عامة أو قاعة حفلات لسكان المشروع يمكنهم استئجارها لتلك المناسبات، وبذلك تقل الحاجة إلى توفير مكان لاستقبال عدد كبير من الضيوف، بل يكتفى بغرفة استقبال واحدة يستخدمها الرجال أو النساء في الوقت الواحد، ولكن يمكن أن يستخدمها الرجال وتستخدم النساء صالة المعيشة.

وهذا يقود إلى ملاحظة وجود فرق بين تداخل النشاطات وتعارضها، فعلى سبيل المثال، يمكن ممارسة عدد من النشاطات، مثل مشاهدة التلفاز في المكان والزمان نفسه في أثناء لعب الأطفال أو تصفح الإنترنت وقراءة الصحف دون أن يكون هناك تعارض بينها، ويمكن أن يساهم تنسيق الفراغ في استغلال أمثل يقلل من فرص التعارض بين الاستخدامات المتعددة. ومن ذلك، على سبيل المثال، استخدام الشاشات المسطحة التي تعلق على الجدران لتقليل المساحة التي يغطيها الأثاث، ووضع قطعة سجاد على الأرض في ركن يناسب لعب الأطفال حتى لا يكونوا قريبين من التلفاز مما يعوق الآخرين من مشاهدته.

يفضل التنبه في مرحلة إعداد البرنامج التصميمي إلى خصائص السكان وأنماط معيشتهم، ومن ثم تحديد النشاطات التي تحتاج إلى فراغات متخصصة (حصرية) والنشاطات التي يمكن أن تجتمع في فراغات ذات استخدام متبادل. وبذلك يمكن تجميع النشاطات التي لا يوجد بينها تعارض سلوكي أو زماني في أثناء استخدامها؛ بحيث تزداد كفاءة الفراغ دون التأثير على كفاءة النشاطات التي تتم بداخله. وهذا ما يمكن ملاحظته في استخدام المطبخ لتناول أفراد الأسرة الطعام، حيث أسهم في تقليل الحاجة إلى غرفة الطعام، التي يستخدمها كثيرون كغرفة مكتب لرب الأسرة، مما يساهم من ثم في جعل غرفة الطعام مهيأة أكثر لاستيعاب نشاطات أخرى لا تتعارض مع وظيفتها الأساسية، وتتناسب مع أنماط تأثيثها.

يساعد على تعدد استخدامات غرف نوم الأطفال أنها تستخدم لأفراد الأسرة فقط، ولأشخاص محددين، والأثاث (مثل السرير ذي الطابقين **Bunk bed**) يتم اختياره بهدف توفير المساحة لاستخدامات أخرى (الشكل ٣)، أو السرير العالي الذي يوفر فراغ دراسة تحته (الشكل ٤). والاستفادة من تلك الأفكار الإبداعية والمبتكرة في التصميم الداخلي وتصميمات الأثاث تزيد فرص استغلال المساحات بشكل أفضل، وبطريقة عملية ومريحة، مثل تخزين الأغراض أسفل السرر أو المقاعد (الشكل ٥)، أو استخدام الطاولات الدراسية القابلة للطي (الشكل ٦).

كما يمكن الاستفادة من الغرف قليلة الاستخدام لنشاطات متكررة ولكنها غير دائمة، أو لا تتعارض مع النشاط الرئيس لتلك الغرفة، مثل استخدام جدران غرفة الطعام كمكتبة لتخزين الكتب (الشكل ٧). ويمكن وضع طاولات دراسة مع كراسي قابلة للطي وخفيفة الوزن؛ بحيث يمكن نقلها إلى غرفة أخرى وقت وجود ضيوف لتناول الطعام.

الشكل (٣) – سرير ذو طابقين (Bunk bed) مع أدراج تخزين تحت السرير السفلي[٩]

الشكل (٤) – سرير مرتفع يوفر فراغ دراسة تحته[١٠]

(٩) http://www.furniturestoreblog.com.

(١٠) http://www.ifurn.com.

الشكل (٥) – إمكانية استخدام السرر المصممة للتخزين[١١]

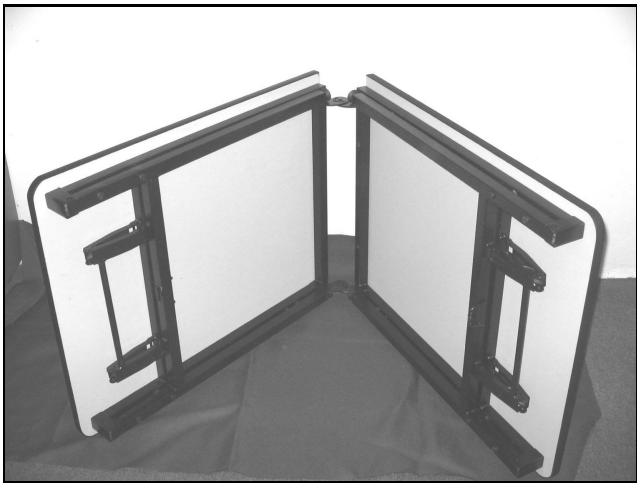

الشكل (٦) – طاولات قابلة للطي، تمتاز بأنها متعددة الاستخدامات وسهلة التخزين[١٢]

(١١) http://images.hayneedle.com

(١٢) http://www.afiah.com.

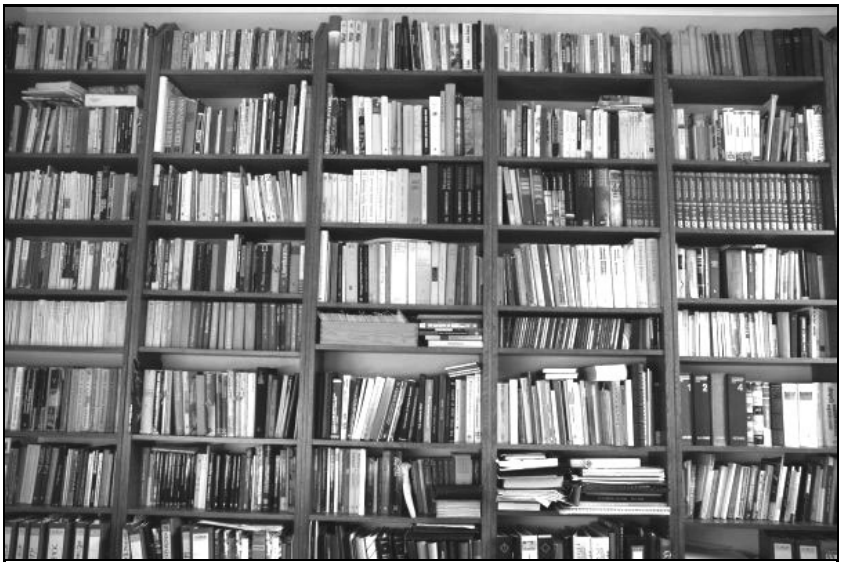

الشكل (٧) – استخدام الجدار بأكمله لتخزين الكتب[١٣]

(١٣) http:/www.primelocationblog.com

المراجع

أولاً – المراجع العربية:

- إبراهيم، أحمد، (١٤٣١هـ)، دور أنظمة البناء في تحقيق الاعتبارات الاقتصادية والبيئية للاستدامة في المسكن الميسر، مؤتمر التقنية والاستدامة في العمران، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، (ص ص ٧٧٩–٨٠٠).
- إسماعيل، محمد، (١٤٢١هـ)، مدارس القاهرة في العصر المملوكي، مجلة المنهل، دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة، م٦١:(٥٧١)، (ص ص ١٢٨–١٣٥).
- الأسود، السيد، (١٩٩٦م)، البيت الشعبي: دراسة أنثروبولوجية للعمارة الشعبية والثقافة التقليدية لمجتمع الإمارات، الإمارات، لجنة التعريب والتأليف والترجمة والنشر لجامعة الإمارات العربية المتحدة.
- البلوز، إبراهيم، (١٤٣١هـ)، تقنيات البناء البسيطة المستدامة للإسكان الميسر، مؤتمر التقنية والاستدامة في العمران، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، (ص ص ٨٠١–٨٢٤).
- الجرداوي، عبد الرءوف، (١٩٧٨م)، الإسكان في الكويت، الكويت، شركة كاظمة.
- الحصين، محمد، (١٤١٢هـ)، خصائص البنية العمرانية للأحواش بالمدينة المنورة، مجلة جامعة الملك سعود، العمارة والتخطيط، م٤، (ص ص ٣٧–٩١).
- الحيدري، علي، (٢٠٠٨م)، البيت البغدادي، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر.
- الخليفة، عبدالله، (١٤٢٩هـ)، الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية في البيئات الريفية في المجتمع السعودي، في علي باهمام (محرر) الإسكان

التنموي: أمل من لا مسكن لهم، الرياض، جامعة الملك سعود، مركز البحوث والمعلومات بكلية العمارة والتخطيط.

- الشريم، محمد، (١٤٢٩هـ)، ظاهرة الملاحق في المباني السكنية: النشأة والتطور، الرياض، جامعة الملك سعود، مركز البحوث والمعلومات بكلية العمارة والتخطيط.
- الصويان، سعد، (١٤٢٠هـ)، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية (العمارة)، الرياض، دار الدائرة للنشر والتوثيق.
- الطياش، خالد، (١٤٢٧هـ)، البيت السعودي المعاصر بين الحاجة والمظهر. الرياض، المؤلف.
- العساف، صالح، (١٤١٦هـ)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض، مكتبة العبيكان.
- العلفي، محمد، (١٤٢٥هـ)، خصائص العمارة اليمنية: أشكالها واتجاهات تطورها، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة.
- الوتار، سمير، (١٤٣١هـ)، مقومات وملامح العمران المستدام في البيئات الصحراوية. مؤتمر التقنية والاستدامة في العمران، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، (ص ٤٧٥- ٤٩٠).
- النويصر، محمد، (١٤١٩هـ)، خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، الرياض، دارة الملك عبد العزيز.
- النويصر، محمد، (١٤٣٠هـ)، العلاقة بين الأحياء السكنية وتصورات وسلوكيات ساكنيها بمدينة الرياض. الرياض: جامعة الملك سعود، مركز البحوث والمعلومات بكلية العمارة والتخطيط.
- باهمام، علي، الحصين، محمد، إدريس، محمود، باهمام، عمر، بلوز، إبراهيم، حسن، نوبي، (١٤٢٤هـ)، دليل المسكن الميسر، الرياض، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

- خان، سلطان، (١٤٠٦هـ)، منازل جدة القديمة، الرياض، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.
- درة، إسماعيل، (١٩٨٨م)، اقتصاديات الإسكان، الكويت، عالم المعرفة، يوليو (١٢٧).
- ديسي، ويليام، (١٤١٨هـ)، الاعتبارات الإنسانية في التصميم المعماري، ترجمة عبد العزيز المقرن، الرياض، جامعة الملك سعود.
- رويتر، أوسكار، (٢٠٠٦م)، البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية أخرى، ترجمة محمود كبيبو، لندن، شركة دار الوراق للنشر.
- صالحين، محمد وياسر عدس، (١٤٢٥هـ)، تأثير متطلبات العصر الحديث على تكلفة المنزل السعودي، ندوة الإسكان (٢) المسكن الميسر، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، (ص ص ٦٣٩-٦٥٤).
- طالب، قيصر، (١٤٢١هـ)، المسكن في المملكة العربية السعودية، ترجمة محمد بن حسين الإبراهيم، الرياض، جامعة الملك سعود.
- طومان، أحمد، (١٤٣١هـ)، مفهوم التصميم المستدام ودوره في تسهيل امتلاك المسكن، مؤتمر التقنية والاستدامة في العمران، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، (ص ص ٨٢٥-٨٣٦).
- عفيفي، حازم، (١٤٢٥هـ)، المرونة كعامل أساسي في تصميم المسكن العربي، ندوة الإسكان (٢) المسكن الميسر، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، (ص ص ٤٦٩-٤٨٤).
- كوريا، تشارلز، (١٤٢٠هـ)، الشكل الجديد لمدن العالم الثالث، ترجمة محمد البراهيم، الرياض، جامعة الملك سعود.
- وزيري، يحيى، (٢٠٠٤م)، العمارة الإسلامية والبيئة، الكويت، عالم المعرفة، يونيو (٣٠٤).

ثانياً – المراجع الأجنبية

- Ahrentzen, Sherry. (1990), Managing conflict by managing boundaries: How professional homeworkers cope with multiple roles at home. *Environment and Behavior* 22:6, 723-752.
- Akbar, Jamel. (1982), Courtyard houses: a case study from Riyadh, Saudi Arabia. In Serageldin, I. and El-Sadek, S. (Eds.) *The Arab city: its character and Islamic cultural heritage*. Riyadh: The Arab Urban Development Institute.
- Akbar, Sameer. (1998), *Home and furniture: Use and meaning of domestic space, Jeddah, Saudi Arabia*. Unpublished doctoral dissertation. University of Newcastle upon Tyne.
- Idris, Mahmoud. (1421H), Assessment of university staff flats in Riyadh based on judgment made by their users. *Journal of King Saud University 13*, 1-22.
- Kent, Susan. (1990), A cross-cultural study of segmentation, architecture, and the use of space. In Kent, Susan (Ed.). *Domestic architecture and the use of space*. Cambridge: Cambridge University press.
- Kent, Susan. (1991), Partitioning space: cross-cultural factors influencing domestic spatial segmentation. *Environment and Behavior. 23:4*, 438-473.
- Marans, Robert. (1987), Survey Research. In Bechtel, R., Marans, R., and Michelson, W. (Eds.). *Methods in environmental and behavioral research*. Malabar, Florida: Robert E. Krieger Publishing Company.
- Nabokov, Peter and Robert Easton. (1989), *Native American architecture*. New York: Oxford University Press.
- Lewcock, Ronald and Zahara Freeeth. (1978), *Traditional architecture in Kuwait and northern gulf*. London: AARP.
- Oliver, Paul. (1987), *Dwellings: The house around the world*. Austin: University of Texas Press.

- Petherbridge, Guy. (1978), "The house and society". In Michell, G. (Ed.). *Architecture of the Islamic world: Its history and social meaning*. London: Thames and Hudson.
- Rapoport, Amos. (1969), *House form and culture*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Yin, Robert. (1994), *Case study research: design and methods*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications
- Zeisel, John. (1984), *Inquiry by design*. Cambridge: Cambridge University Press.